واٮهم اذا جاوه فقد جاوا من خصه الله برسالته وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته
فلهذا السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة لوجدوا الله توابا رحيما يعني لو انهم تابوا من
ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار عن عروة بن الزبير عن ابيه
ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري
سرح الماء يمر فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق
يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب
هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير براى اراد
فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك فلا وربك قوله اختصما
في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون في الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض
المتلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير وهو قوله فلما احفظ اى اغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اى استوفى له
حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى
الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الاية
مستانفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضا فقال الانصاري
لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هولاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني
الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الاية في بشر المنافق واليهودي الذين
اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الاية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة
لتاكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف
القسم فقال تعالى وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه
وقيل فيما التبس عليهم يقال شاجره في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط وشجر الكلام اذا دخل بعضه
على بعض واختلط ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا
بقضائك ويسلموا تسليما يعني وينقادوا لامرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء من امرك وقيل معناه يسلموا لما
تنازعوا فيه لحكمك قوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم اي فرضنا واوجبنا عليهم الضمير في عليهم يعود الى المنافقين
وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا
على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر ما فعلوه الا قليل منهم معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس وذلك ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال شماس والله لو كتب علينا ذلك

لفعلنا

لفعلنا وهو من القليل الذين استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذي ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن قال الضمير في عليهم يعود الى المنافقين
قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى انا لو كتبنا عليهم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى
بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرى الا قليلا منهم بالنصب
وتقديره الا ان يكون قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا والاخرة وانما سمى ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى
وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا واشد تثبيتا يعني تحقيقا وتصديقا
لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى ثباتهم على ايمانهم وتصديقهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا
جواب لسوال مقدر كانه قيل ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو ان نوتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم
صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه لهديناهم الى
الاعمال الصالحة التي تودي الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المومنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر
الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المودي الى الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم الاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما غير لونك قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم اني اذا ذكرت الاخرة اخاف لا اراك هناك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني ان
دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك
فكيف نراك فانزل الله هذه الاية ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع
الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في
الاخرة من النبيين يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لا تفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون
في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق الكثير
الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على مناهجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل
الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل
والشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين استشهدوا يوم احد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوى
سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد
صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة وحسن اولئك
يعني المشار اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال وما احسن اولئك رفيقا
يعني في الجنة والرفيق الصاحب والرفيق سمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة
الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد منهم اولئك رفيقا عن انس ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني احب الله ورسوله

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)